Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 3, 2023

Deanship of Scientific Research

The Use of Animals in Satire: Al-Taremmah

Abdulrahman Abdulhameed Alsharqawi*

Department of Arabic Language and Literature, College of Basic Education, Kuwait.

Received: 23/8/2021
Revised: 9/1/2022
Accepted: 21/2/2022
Published: 30/5/2023

* *Corresponding author:*
aa.alsharqawy@paaet.edu.kw

Citation: Alsharqawi, A. A. (2023). The Use of Animals in Satire: Al-Taremmah. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(3), 215–220.
https://doi.org/10.35516/hum.v50i3.5408

Abstract

Objectives: This study aims to uncover the unique aspects of Al-Taremmah bin Hakim's poetry, specifically in the realm of satire, within the context of the Umayyad era. It seeks to shed light on his poetic compositions, which engaged in battles of wit with renowned poets such as Al-Farazdaq, triumphing over them. One of the notable distinguishing features of Al-Taremmah's satire—unmatched or incomparable by any other poet—is his skillful use of animals to mock and deride his targets.

Methods: The study employed a descriptive approach, analyzing the phenomenon through an examination of the poet's body of work.

Results: Al-Taremmah's poetry demonstrates the incorporation of more than twenty different animals in his humorous compositions, ranging from birds and reptiles to savage creatures and pets. In fact, in his Diwan (collection of poetry), every satirical poem I encountered prominently featured an animal, with the creature assuming dominance over the scene's details. This represents a novel approach to satire within Umayyad poetry, surpassing the extent and intensity of animal usage exhibited by any pre-Islamic or Umayyad poets before him, to the best of my knowledge.

Conclusions: This study emphasizes the importance of exploring the poetic collections of various authors, discerning the artistic phenomena that distinguish each poet from others, and identifying the distinctiveness that sets them apart.

Keywords: Al-Taremmah's poetry, satire, animals, the Umayyad era.

توظيف الحيوان في أهاجي الطرمَّاح

عبد الرحمن عبد الحميد الشرقاوي*

قسم اللغة العربية - كلية التربية الأساسية، الكويت.

ملخّص

الأهداف: هدفت الدراسة إلى الكشف عن سر تميّز شعر شاعر من فحول الشعراء في العصر الأموي هو الطرماح بن حكيم، وتحديدًا في باب الهجاء، وتسعى إلى تسليط الضوء على شعره الذي قارع فيه الفرزدق وغيره من شعراء زمانه فقرعهم وغلبهم، فكان من أبرز ما تفرّد به شعر الطرماح عن غيره في الهجاء توظيف الحيوان في السخرية والتهكم من المهجوّين.

المنهجية: استخدمت الدراسة المنهج الوصفي القائم على تحليل الظاهرة من خلال استقراء ديوان الشاعر.

النتائج: وظّف الشاعر ما يربو على العشرين حيوانًا مختلفًا في أهاجيه طائرًا وزاحفًا، ومتوحشًا وأليفًا. فليس ثمة قصيدة هجاء له في ديوانه إلا والحيوان حاضر ومهيمن على تفاصيل المشهد، وهذا من التجديد في باب الهجاء في الشعر الأموي، إذ لم يسبقه إلى هذا الكم والتكثيف في توظيف الحيوان أحد من الجاهليين أو الأمويين، فكان بدعًا من الشعراء في ذلك.

الخلاصة: ضرورة استنطاق دواوين الشعراء، واستنباط الظواهر الفنية التي تميّز بها كل شاعر عمّن سواه، وتحديد مواطن تفرّده عن غيره.

الكلمات الدالة: الطرماح بن حكيم، توظيف الحيوان، الهجاء، شعر الطرماح، هجاء الطرماح، الأموي.

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدمة:

عند اطلاعي على ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق: عزة حسن، لفت انتباهي اقتدار الطرماح وتمكنه في باب الهجاء، بل وتفوقه على فحل من فحول زمانه ألا وهو الفرزدق حين هجاه وهجا قومه بني تميم في قصيدته التائية التي ذاعت وتداولها العامة والخاصة، منها قوله **(ديوان الطرماح، 63)**:

فلو أنَّ يربوعاً يزقَّقُ مَسكُهُ إذًا نهلتْ منه تميمٌ وعلَّتِ

ولو أنَّ برغوثًا على ظهر قملةٍ يكرُّ على صفَّي تميمٍ لولَّتِ

ما السبب الذي جعل الطرماح يتفوق في باب الهجاء فيكثر منه في ديوانه، ويجيد حتى قارع فيه الفحول فقرعهم؟

جاء السؤال ليمثل مشكلة الدراسة التي أسعى من خلال بحثي هذا التوصل فيه إلى إجابة شافية عن هذه المشكلة، وأُبرز فيه قيمة توظيف الحيوان كونها أحد السبل الناجعة في باب الهجاء، وبيان أهميتها في هذا الصدد.

فأخذت أتتبع الشواهد التي وظف فيها الحيوان -أو ما يدل عليه- في الهجاء، فوجدت ما يربو عن العشرين شاهدًا إذ استخدم الحيوان في شعره كأداة حرب كلامية لاذعة لا يستهان بها، فقد وظَّف: (البازي، الحباريات، الفراش، القطا، اليربوع، البرغوث، القملة، الذرة، العنكبوت، الليث، الغنم، الدخس "الدلفين"، أم حُبين، الصقور، الذُّرارح، البعير، القنفذ..) ولا تكاد تجد قصيدة هجاء في ديوانه إلا والحيوان حاضر فيها.

وكنت قد عزمت على تقسيم الحيوانات إلى: طيور وحشرات، وحيوانات أرضية متوحشة وأليفة، إلا أنِّي آثرت الوقوف عند كل شاهد حسب وروده في الديوان حتى لا يتكرر تناولي للقصيدة ذاتها غير مرة.

التمهيد (الأصفهاني، 10، 150):

الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر من قبيلة طيئ، واسمه حكم بن حكيم، وإنما سمي الطرماح لطوله، وقيل: لزهوه. وكان جده قيس قد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، وُلد في الشام نحو سنة 50هـ، وأقام معظم حياته في الكوفة حتى توفي بعد الفرزدق بقليل، أي بعد110هـ.

ترحل في طلب الرزق، فسار إلى كرمان وقزوين إما لتجارة أو مدح والٍ. كان على مذهب الخوارج الصفرية، لا يرى بوجوب القتال مع الخوارج، فلم يُرو عنه أنَّه شارك في قتال مع الخوارج ضد دولة بني أمية. وكان متعصبًا لليمنية قبيلته، إذ كان غالب شعره وأجوده في موضوعي الفخر والهجاء، وقد قال المفضل الضبي عنه: " إذا ركب الطرماح الهجاء فكأنما يوحى إليه "، ويُعد من الفحول الكبار بشهادة كبار النقاد والشعراء في عصره.

القصيدة الأولى: يقول في مطلعها (الديوان، 19):

ألم تزعِ الهوى إذْ لم يُواتِ بلى، وسلوتَ عن طلبِ الفتاةِ

إلى أن يقول مصورًا نفسه والقوم المهجوّين بمشهد البازي الذي تخشى الحباريات سطوته، وهو مقرور جائع ذو مخالب حادة تفتك بالفريسة، وعيناه صادقتان تجلوان الصيد حيثما كان، قال **(الديوان، 36)**:

تفادَوْا من أذاي كما تفادى من البازي رعيلُ حُباريات

غدا خَرِصًا يزلُّ الطلُّ عنه يُلَأْلِئ بالمخالبِ والشباةِ

يُقلّبُ دائم الخفقانِ سامٍ بظميا الجفنِ صادقةِ الجلاةِ

وهذا المشهد مألوف في ذهن العربي في كل ممسى ومصبحٍ، وهو في عرف الحيوان أهيب ما يكون بين ضعيف لا حيلة له، وقوي فاتك. وكثيرًا ما تناوله القدماء - كزهير بن أبي سلمى - وأسهبوا في تصوير نفسية الحبارى وفزعها، فأسقط هذا المشهد المستقر في الذهن العربي على مهاجاته تلك، ليظفر على خصومه ضمنيًا من خلال البازي.

القصيدة الثانية: وهي في هجاء بني تميم، مطلعها **(الديوان، 46)**:

ألا إنَّ سلمى عن هوانا تسلَّتِ وبتَّتْ قوى ما بيننا وأدلَّتِ

إلى أن يقول مسترسلًا كالسيل العرم في هجاء بني تميم، فيوظف ثمانية حيوانات في سبعة أبيات توظيفًا ذكيًا قاصمًا، قال **(الديوان، 56)**:

فراشُ ضلالٍ بالعراقِ وجفوةٍ إذا مات ميتٌ من قريشٍ أهلَّتِ

هنا يظهر التناص مع أمثال العرب، فقد أورد الجاحظ في الحيوان عن الفراشة فقال: " يُقال في موضع الذم والهجاء: [ما هم إلا فراشُ نار..] "**(الجاحظ، 3، 146)**، وذلك أن الفراش من طيشه وحمقه ليحوم حول ضوء النار ثم يقع فيها، فهم -أي بنو تميم- في الضلال يسيحون، وحول الفتن يطوفون، ونجده يتجاوز نسبة الفراش للنار كما هو معهود، ليضيف إليهم " الضلال "، فهم فراش ضلال لا نار، فكأنَّهم يتقحَّمون في الضلال تقحُّمًا، وهذا هجاء مقذع.

ثم يهجوهم بالأبيات القاصمة التي صارت سُبَّة ملازمة لتميم على مر العصور، وتداولها كثير من الأدباء في كتبهم، ولم يقل أحد في وصف الجبن والفرار مثلها **(ابن عبد ربه، 1، 130)**، منها قوله **(الديوان، 59)**:

تميمٌ بطُرقِ اللؤمِ أهدى من القطا ولو سلكتْ طرقَ المكارمِ ضلَّتِ

أقام هجاءه بالتناص أيضًا مع مثل من أمثال العرب، فقد كانوا يضربون المثل بهداية القطا إلى الماء **(الثعالبي، 482)**، فاستفاد من هذا المثل وما يرسخ معه في ذهنية المتلقين من أفضلية القطا في اكتشاف مواضع الماء ليقلبه على تميم في بيان أفضليتهم في الاهتداء إلى سبل اللؤم، ويؤكد الفكرة بعكسها، بحيث لو قررت تميم الاهتداء إلى المكارم لضلت في التيه، أي أنَّ اللؤم -ولا طريق سواه- هو ما يستطيع التميمي الاهتداء إليه.

ثم يقول مستعينًا باليربوع -في سبيل هجائه بني تميم- ذلك الحيوان الصغير الذي لو سُلخ جلده واتُخذ منه زقًا إذًا لكفى قبيلة تميم كلها أن ينهلوا منه، بل ويعلُّوا كرة أخرى، وهذا مما تتهاجى به العرب فيما بينها، أعني قلة العدد المؤدي إلى الضعف والخور والخنوع للقبائل ذوي العدد والعدة، يقول **(الديوان، 63)**:

فلو أنَّ يربوعًا يُزَقَّقُ مَسْكُهُ إذًا نهلتْ منه تميمٌ، وعلَّتِ

يؤسس الصورة الخيالية غير المتوقعة في ذهن المتلقي ثم يتهكم -بناء على الصورة المرسومة- مرتين، إذ لا يكتفي في بيان نقص عددهم من النهل الأول من زق يربوع، ولكنه يزيد الصورة سخرية وتهكمًا أن جعلهم يَعُلُّون في الشربة الثانية أيضًا، وهذا أسلوب رفيع من أساليب الهجاء.

وهناك ملمح آخر قد يدخل في سبيل هجائه هذا، وهو اتهام تميم بجفائهم وأعرابيتهم، إذ إنَّ الأعراب هم من يأكلون اليربوع في الجهد والخصب، وقد ورد أنَّ مدنيًا -كالمستهجن- سأل أعرابيًا: أتأكلون الضب؟ قال: نعم. قال: أتأكلون اليربوع؟ قال: نعم **(الجاحظ، 6، 520)**. ففي اختيار اليربوع دون غيره من الحيوانات الصغيرة قد يشي بالقصدية.

ونجده يستمر في الهجاء بتوظيف أصغر الكائنات، و"يُؤنسُنُها" في مشهد ساخر في الحرب على صفي تميم فيقول **(الديوان، 63)**:

ولو أنَّ برغوثًا على ظهرِ قملةٍ يكرُّ على صفَّيْ تميم لولَّتِ

برغوث صغير لا يُرى، ضعيف لا سلاح لديه، فردٌ لا نصير له، يستعين بركوب ظهر قملة هي أضعف حالًا منه وأخس، ثم تفر تميم منه بفرسانها وسلاحها. يصورهم في مشهد غاية في الجبن والخسة والضعة، فالهجاء من خلال هذه المشاهد المضحكة عند المتلقين لتثبت في الذهن، فيسهل تداولها بين العامة والخاصة، لقرب مأخذه، وسهولة طرحه في قالب ساخر.

ثم يُغالي الطرماح في خيالاته الساخرة، فيصور مشهد النملة الحبيسة بعقالها لا تقدر تميم بجموعها عليها **(الديوان، 64)**:

ولو جمعتْ يومًا تميمٌ جموعها على ذرَّةٍ معقولةٍ لاستقلتِ

إنَّ النملة وهي حرة طليقة لا حول لها ولا قوة على أضعف مخلوق، ومع هذا يضيف قيدًا ساخرًا بقوله "معقولة" ليمعن في رسم المشهد بتفاصيله غير المتوقعة في ذهن المتلقي ليظفر بدرجة أعلى من درجات التهكم والسخرية التي تسقط الخصم المهجو، وتحط من قدره، وتبالغ في تضعيفه وهشاشته في الحرب.

ثم قال بعدها:

ولو أنَّ أمَّ العنكبوتِ بَنَتْ لهم مظلَّتها يومَ الندى لأكنَّتِ

يأتي الهجاء في هذا البيت على وجوه:

منها: اكتنانهم بأوهن بيت، فيأتي التناص مع كتاب الله عز وجل حول أوهن البيوت، قال تعالى **(سورة العنكبوت، 41)**: "مَثَلُ الذين اتخذوا من دونِ اللهِ أولياءَ كمثلِ العنكبوتِ اتخذت بيتًا وإنَّ أوهنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون". ومنها: هجاؤهم بقلة العدد، وفي العدد كما أسلفنا القوة والمنعة، فنسج أم العنكبوت يكفيهم لقلتهم. ومنها أيضًا: رميهم بالعجز، إذ كيف لقبيلة كاملة برجالها ونسائها لا تسطيع بنيان ما يحوطها ويمنعها من الأذى؟ ثم تراها بعد ذلك ترضى بالدون من البيوت، أوهنها ركنًا، وأضعفها نسجًا، وأصغرها حجمًا. وصفٌ دقيق لتأكيد عجزهم عن القيام بأي فعل يحميهم من أدنى أذى، فكيف بهم بالأذى العظيم حين تقوم قائمة الحرب؟

وقال بعدها موظفًا "الذبيحة من الحيوان" في الشريعة الإسلامية، ووجوب التسمية عند ذبحها، ليضرب صحة إسلام تميم ويصمهم بالنفاق **(الديوان، 65)**:

ذبحنا فسمَّينا، فحلَّ ذبيحنا وما ذبحتْ يومًا تميمٌ فسمَّتِ

أفاضت إلى البيتِ الحرامِ بحجَّةٍ فلما أتتهُ نافقتْ وتخلَّتِ

أخذ من أحكام الذبيحة الواردة في الكتاب العزيز ما يعينه على هجاء بني تميم من عدم التزامهم بالدين الحنيف وتعاليمه، ليقرر في نفوس المتلقين رقة دينهم، وضعف إيمانهم، أو انعدامه كما قال "نافقت وتخلّتِ".

وكأنَّه يشير إلى قول الله تعالى في **(سورة الأنعام، 121)**: "ولا تأكلوا ممَّا لم يُذكر اسم الله عليه وإنَّه لفسق وإنَّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم

ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون"، وقوله تعالى في سياق ذم صنيع المشركين بافترائهم على الله **(سورة الأنعام، 138)**: "وقالوا هذه أنعام وحرث حِجْرٌ لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعامٌ حُرّمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون". يكمن إبداع الشاعر عند امتلاكه لخيال خصب خلّاق ونباهة وحذق في توظيف معارفه وعلومه ليحوّرها فتتوافق والموضوع المراد في القصيدة.

القصيدة الثالثة: وهي في هجاء الفرزدق وبيوت بني سعد من تميم، مطلعها **(الديوان، 155)**:

إنَّ الفؤاد هفا للبائن الغردِ لمَّا تذيَّلَ خلفَ العُنَّسِ الخُرُدِ

حتى يأتي على هجاء بني تميم والرد على مُوعِد طيّئ بالسوء والحرب، فيُقيم هيكل هجائه على الأسد وصورته المرعبة في الذهن، فيقول **(الديوان، 158)**:

يا طيّئ السهلِ والأجبالِ مُوعِدُكم كالمبتغي الصيدَ في عِرّيسةِ الأسدِ

والليثُ من يلتمسْ صيدًا بعقوتهِ يُعرَجْ بحوبائهِ من أحرَزِ الجسدِ

إلى أن يقول مصورًا خور تميم أمام أي امرئ له فرس يُريد الغلبة عليها وينادي بشعار الأزد -قبيلة يمانية- إلا وانتصر ونفَّرها كما يُنفّر صوت الأسد صغار الغنم **(الديوان، 160)**:

لا عزَّ نصرُ امرئٍ أضحى له فرسٌ على تميمٍ يُريدُ النصر من أحدِ

إذا دعا بشعارِ الأزدِ نفَّرهم كما يُنفّرُ صوتُ الليثِ بالنقدِ

يُحسن توظيف الصور المتخيلة المستقرة في نفس كل أحد والمرئية أمام كل عين الممثلة للرعب الواقع عند سماع صغار الغنم صوت الأسد، وما يكون منها من جلبة وتفرق في كل جهة، فما بالكم برؤيته أو مواجهته؟ يُسقط هذا على حال تميم عند سماع شعار القبائل اليمانية.

القصيدة الرابعة: يهجو تميمًا وشاعرها الفرزدق أيضًا، مطلعها **(الديوان، 175)**:

أصاحِ، ألا هل من سبيلٍ إلى هندِ وريحِ الخُزامى غضَّةً بالثرى الجَعدِ؟

حتى يصل إلى غرضه من القصيدة، فيشرع بهجاء تميم فيقول **(الديوان، 181)**:

أغصَّتْ عليكَ الأرضَ قحطانُ بالقنا وبالهندوانيَّاتِ والقُرَّحِ الجُردِ

فكُنْ دُخَسًا في البحر أو جُزْ وراءه إلى الهندِ إنْ لم تلقَ قحطانَ بالهندِ

يسخر منه -أي من الفرزدق وتميم وراءه- ابتداءً بإحاطة قحطان له من كل جانب، وملئهم عليه الأرض رماحًا وسيوفًا، ثم يقترح عليه -متهكمًا- حلًا للنجاة أن يكون "دُخسًا" وهي دابة من دواب البحر تُنجي الغريق، ويُقال: هي الدُّلفين، فكأنه لما كانت الأرض كلها لقحطان فإن خير منجاة له أن يعيش في البحر لينجو منهم، ثم يسترسل في إيجاد حل آخر بديل أن يجوزوا البحر إلى بقعة بعيدة خارج الجزيرة العربية وهي الهند، ثم يزداد في التهكم وإغلاق جميع المنافذ عليهم، وقطع دابر كل الحلول، أنَّهم لو فعلوا ما اقترحه عليهم من اجتيازهم البحر وهروبهم للهند سيجدوا قبائل قحطان هناك لهم بالمرصاد تسومهم سوء العذاب والخسف.

وهذا اقتدار من الشاعر الطرماح أن يُوظف حتى حيوان البحر من أجل حجاجه الهجائي، ليقنع السامعين بقوة القبائل اليمانية عزة ومنعة، وكثرتهم عددًا، واتساع سلطانهم على رقعة كبيرة من الأرض.

وفي آخر بيت من القصيدة يوظف أمَّ حُبين فيقول **(الديوان، 192)**:

وإنَّ تميمًا وافتخارًا بسَعْدها بما لا يُرى منها بغورٍ ولا نجدِ

كأمِّ حُبينٍ، لم يرَ الناسُ غيرها وغابَ حُبينٌ حيث غابت بنو سعدِ

أم حبين دويبة أشبه بالحرباء كانت الأعراب تأنف من أكلها، كما ورد أن مدنيًا سأل بعض الأعراب: "أتأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس؟ فقال: نأكل كل شيءٍ إلا أم حبين. فقال: لتهنِ أم حبين العافية " **(الجاحظ، 2، 256)**، ووجه الشاهد الرابط بين بني سعد -أكبر أحياء بني تميم- التي تفاخر بما لم يُر منها أو يوجد في غور ولا نجد من الأرض وبين أم حُبين، أن لا وجود لحُبين، ولا يرى الناس سواها، فكلاهما يدَّعيان ما لا وجود له على أرض الواقع، وإنَّ اختيار أم حبين تلك الدويبة الصغيرة دون ما سواها من الحيوانات المكنَّاة بأم كذا أو كذا -أم عامر مثلًا- حتى يبالغ في الحط من قدرهم، والانتقاص منهم بتشبيههم بدويبة مسترذلة لا نفع من ورائها.

القصيدة الخامسة: في هجاء تميم أيضًا، يقول في مطلعها **(الديوان، 254)**:

فلو كان يبكي القبر من لؤمِ حشوهِ بكتْ من تميمٍ كلَّ يومٍ قبورها

ثم يقول:

ودانتْ تميمٌ للعتيكِ وأسلمتْ تميمٌ، وأودى خطرُها وزئيرها

نراه يستخدم بعض صفات الحيوان وحركاتها التي تصدر عنها حين الاستعداد لخطر ما، أو الخوض في مواجهة عدو، مثل: "الخَطْر" من خطر البعير بذنبه إذا ضرب به يمينًا وشمالًا يتوعد غيره عند المصاولة، و"الزئير" وهو صوت الأسد. ثم يُسقط هذه التهديدات بقوله " أسلمتْ تميم " أذعنت واستسلمت، و"أودى" أي سقط كل ما عندها من محاولة لإرهاب عدو أو إخافته.

ثم يقول متهكمًا بزعمهم أنَّهم بنو الحرب العوان الشديدة التي تأكل الأخضر واليابس **(الديوان، 256)**:

ألستم بني الحرب العوان – زعمتمُ - ومن غيركم فتيانُها وصقورها؟

يستخدم أسلوبًا في التهكم والسخرية مألوفًا حتى يوم الناس هذا، وهو أن تثبت الشيء المزعوم لصاحبه الذي ادَّعاه وتنفيه عن أي أحد من العالمين بصيغة الاستفهام "ومَنْ غيركم فتيانها وصقورها؟"، فمن خلال السياق وكلمة "زعمتم" نتبيَّن التهكم من الاستفهام. واستخدم الصقور معادلًا موضوعيًا لأقوى الطيور الكاسرة، وأحدّها نظرًا، وأقدرها على الصيد، غير أنَّ ما سبق ما هو إلا زعمٌ وباطلٌ من مزاعم تميم.

القصيدة السادسة: في هجاء حميد اليشكري، ومطلعها **(الديوان، 319)**:

أهاجك بالملا دمنٌ عوافي كخطّ الكفِّ بالآيِ العجافِ

إلى قوله **(الديوان، 327)**:

أتحسبُ يَا ابْنَ يشكرَ أنَّ شعري كلِفْتِ المرتدي طرَفَ العِطافِ

رُويدكَ تستغبَّ، فإنَّ فيها دماء ذُرارحِ السمِّ الذُّعافِ

يستمهله أن لا يرد فينهل من الماء، لأنه سينهل من قصائده السم القاتل، كأنَّ في قصائده تلك الدويبة "الذرارح" وهي أعظم من الذباب لها جناحان وفيها سم قاتل، في استخدامه للسم القاتل تهديد يثير الرعب في نفس المهجو، وإن كان في استخدامه لسم هذه الدويبة غير المشهورة -لم يستخدم سم الحيات أو العقارب - غرابة!

وقال في بيت آخر في نفس القصيدة **(الديوان، 329)**:

قُبيّلةٌ أذلُّ من السواني وأعرفُ للهوانِ من الخصافِ

خصافِ النعلِ إذ يُمشى عليها موطَّأةً مطيَّةَ كلّ حافي

يريد أن يُركّز على هوان قبيلة "حميد" وهم بنو يشكر، وبيان ذلهم وضعتهم بين القبائل، فيضرب مثل ذلهم بذل السواني من الإبل، وهي التي يُستقى عليها الماء من البئر، فتبرك ويرتقي على ظهرها الساقي ويطأها بقدمه، فكذلك هم. وكذا في المثل: "سيرُ السواني سفرٌ لا ينقطع" **(ابن منظور، 14، 404)**، ولعل ذلك من بطء سيرها نتيجة رهقها وكدّها في السقاية.

فهو يستفيد من حالة معينة يكون فيها البعير ذليلًا ممتهنًا، إذ الأصل في البعير أن يمثل الصفات الحسنة من صبر وتحمل على أعباء الطريق والسفر إلى غير ذلك، وهذا يدل على حذقه وانتباهه في الاستفادة مما حوله من مشاهدات يومية من سقاء وجلب ماء.

ومن توظيفه أيضًا قوله **(الديوان، 331)**:

وتزعمُ أنَّهم أشرافُ بكرٍ ومن جعلَ القوادمَ كالخوافي

يوظف ريش الطير القوادم: وهي ما تكون في مقدم جناح الطائر، واحدتها قادمة وتكون كبيرة طويلة، وضدها الخوافي: وهي الريشات الصغار تحت القوادم في جناح الطائر، واحدتها خافية، وفي المثل: "ما جعل القوادم كالخوافي" **(ابن منظور،21، 469)**، كل ذلك من أجل أن يضرب زعم "حميد" في قومه بني يشكر من كونهم أشرف قبائل بكر بن وائل، فالحجاج العقلي في المثل المضروب يُغني في إبطال زعمهم، والحط من قدرهم.

القصيدة السابعة: وهي في هجاء الفرزدق وتميم، وذلك بعد أن مدح الفرزدق مسلمة بن عبد الملك بعد قتله يزيد بن المهلب الأزدي، وأزد من قبائل اليمن. مطلعها **(الديوان، 460)**:

أتشتمُ أزدَ القريتينِ وطيّئًا؟ لقد رُمتَ أمرًا كان غيرَ مرومِ!

وإنْ تهجُ عُليا طيّئٍ تلقَ طيّئًا إليها تناهى نعتُ كلّ كريمِ

بهم مَثَلُ الناسِ الذي تعرفونَه وأهلِ الوفا من حادثٍ وقديمِ

وأنتَ على الجيرانِ قُنفذُ تلعةٍ أزومٌ على السوءاتِ وابنُ أزومِ

إذا خافَ وارى أنفه من عدوّه وإن لم يخفْهُ باتَ غيرَ نؤومِ

يبتدئ القصيدة بسؤال استفهام استنكاري يستهجن فيه فعلة الفرزدق بهجاء الأزد، ثم يذكر علو كعب قبيلتي طيّئ والأزد في المكارم من العهد

القديم، فالناس تضرب بهم في أمثالها فتقول: "أكرم من حاتم طي"، "وأوفى من السموأل" وهو أزدي، ثم يلتفت إليه ويخاطبه "وأنت" ليذكر نقائض ما مدح به قبيلته من الوفاء والكرم، فيشبهه بقنفذ مُطلّ من تلعة على الجيران، كاشفًا لعوراتهم بسمعه وبصره، فالعرب كانت تقول: " أسمعُ من قنفذ" **(الجاحظ، 6، 569)**، ثم هو في حالة الخوف وعدمه في ذل وشقاء، ففي الخوف يدس أنفه في التراب كالقنفذ خشية عدوه، وفي السلم لا ينام من الوساوس والقلق، فهو في ألم وتعب مستمرين.

الخاتمة:

توصل الباحث من خلال عرض الشواهد التي وظف فيها الطرماح بن حكيم الحيوان في باب الهجاء إلى نتائج منها:

1- من أهم أسباب تميز الطرماح في باب الهجاء وغلبته لتميم والفرزدق حسن توظيفه للحيوان في سبيل الهجاء، وقدرته الفائقة في الاستفادة مما حوله من المشاهد والمعطيات في عالم الحيوان.
2- جلُّ الشواهد الحيوانية الموظفة لها أصل في أمثال العرب، مما يعين على سيرورة هجائه وسهولة حفظه وتناقله بين العامة فضلًا عن الخاصة، لما للأمثال من وقع وتأثير في ثقافة الذاكرة العربية.
3- إثارة الدهشة وكسر أفق توقع القارئ عن طريق تصوير مشاهد حيوانية متخيلة لا وجود لها في الواقع، أو كما يقال "تشخيص أو أنسنة" الحيوان التي تلعب دورًا كبيرًا في الحجاج، وإسقاط الخصم المهجو بأفكه الصور والمشاهد الساخرة، والإيحاء بالغلبة والعلو على المهجو إن حط من قدره بمثل ما فعل.
4- الاستعانة بكم كبير من الحيوانات بمختلف أشكالها ومواصفاتها: كالصقور والحبارى والعنكبوت والذرة والبرغوث والجمال، مما يؤكد تأصل الفكرة عنده، واهتمامه بها، وامتلاك ناصيتها دون الشعراء.

المصادروالمراجع

الأصفهاني، أ. (2010). *الأغاني*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الثعالبي، أ. (د.ت). *ثمار القلوب في المضاف والمنسوب*. القاهرة: دار المعارف.

الجاحظ، ع. (2003). *الحيوان*. (ط2). بيروت: دار الكتب العلمية.

الدينوري، ا. (2002). *الشعر والشعراء*. القاهرة: دار الحديث.

ديوان الطرماح بن حكيم. (1986). دمشق: وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي.

ابن عبد ربه، أ. (1983). *العقد الفريد*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الكلبي، ه. (1988). *نسب معد واليمن الكبير*. (ط1). عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية.

ابن منظور، م. (1994). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

References

Al-Asfahani, A. (2010). *Songs.* Cairo: Egyptian General Book Authority.

Al-Tha’alby, A. (n.d.). *Fruits of hearts; in Al-Masjid and Al-Mansub.* Cairo: Dar al-Ma'af.

Al-Ja'ath, A. (2003). *Animal*. (2nd ed.). Beirut: Scientific Book House.

Al-Dinouri, I.(2002). *Poetry and Poets*. Cairo: Dar al-Hadith.

Diwan al-Tarmah bin Hakim. (1968). Damascus: Ministry of Culture, Tourism and National Guidance .

Ibn Abd Rabbo, A. (1983). *The Unique Contract.* (1st ed.). Beirut: Dar al-Surif.

Al-Kalbi, H. (1988). *Moad's Lineage and The Great Yemen*. (1st ed.). Book World, Arab Renaissance Library.

Ibn Maser, M. (1994). *San Al-Arab.* Beirut: Dar Sader.